طلب العلم

فضيلة الشيخ



مكتبة سلسبيل
٢٤٥٢٢٩١٩ ٠١٠٦٧٦١٢١٩

رقم الإيداع:

٢٠١٠/١٠٧١٤

مكتبة سلسبيل

ش العزيز بالله – حدائق الزيتون – القاهرة ٢٤٥٢٢٩١٩_ ٠١٠٦٤٦١٢١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، العليم الحكيم، أشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، علام الغيوب، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، جاء بالعلم من ربِّه والوحي منه سبحانه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فضل العلم

فإنَّ الاشتغال بالعلم من أعظم القرب، وأجل الطاعات، وآكد العبادات، وخير ما أنفقت فيه الأوقات، وشمَّر فيه أصحاب النفوس الزكيات، وبادر إلى الاهتمام به المسارعون إلى الخيرات، تظاهرت على ذلك الآيات الكريمات، والأحاديث الصحاح المشهورات، وأقاويل السلف النيرات.

العلمُ مفتاح كل خير، وهو الوسيلة إلى أداء ما أوجب الله علينا؛ فلا إيمان ولا عمل إلا بالعلم، به يُعبد الله، ويؤدى به حقه، ويُنشر به دينه.

والحاجة إلى العلم أعظم من الطعام والشراب؛ لأن بالعلم قوام الدين والدنيا. قال أحمد رحمه الله: الناسُ أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب؛ لأنَّ الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرتين أو ثلاثة؛ والعلم يُحتاج إليه في كلِّ وقتٍ، لولا العلم كان الناس كالبهائم، فمن الذي فضل هؤلاء البشر؟ بما أعطاهم الله من العقول فاتبعوا بها دينه ووحيه، لم يأمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يطلب الزيادة من شيئًا إلا من العلم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: الآية ١١٤] فهو شجرة جليلة المقدار، باسقة الأشجار، وارفة الظلال، يانعة الثمار، طلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، أهله هم أهل الخشية، ووراثه الموقعون عن ربِّ العالمين.

ولما ذكر اللهُ فضله في كتابه، ورفعة أهله وما آتاهم من الدرجات، وما أشهدهم عليه من الحقائق الجليات، ومنها إشهادهم على توحيده سبحانه وتعالى، وأن النجاة لا تحصل إلا به، ودلل نبيُّه ﷺ على الفضل العظيم الذي لأهل العلم، وما يكون لهم من الملائكة، ومن النمل، ومن الحوت، ومن سائر المخلوقات من الاستغفار.

انشغال الناس عن طلب العلم

ومع هذا كله نرى -أيها الإخوة- في كثيرٍ من الناس زهدًا في طلب العلم وتشاغلًا عنه، فهذا مشغول بتجارته وأسهمه، وهذا بطلب رزقه والبحث عن ما يشتري به، وآخر بالملهيات والمشغلات والسفر والسياحات، وهذا لاحتراف في الأعمال، وهذا للأسفار، ودخلت علينا وسائل الإعلام بأشكالها فأشغلتنا القنوات والإذاعات والمجلات، وزاد الشغل على شغل بوسائل اللهو والترفيه والألعاب، وصارت القضية اليوم إشغالًا بعد إشغال، وانشغالًا في إثر انشغال، حتى ذكر أحدُ المدرسين أن بعض طلابه يقضي على بعض الألعاب في اليوم اثنتي عشر ساعة، أربعة ملايين مراهق يقضون أكثر من ست ساعات يوميًا في تصفح الشبكة، فماذا يفعلون؟! وهنالك أوقاتٌ تُقتل بالقصص الغرامية، والمقالات اللاهية العابثة، وإثارة الغرائز، وألعابٌ تستهلك الساعات الطوال، وناقشات حول تلك الألعاب، فإشغالٌ ثم انشغالٌ بالمناقشات الفارغات. وهذا مغرمٌ بأنواع زينات السيارات، وهذا

مشغول بالترف الزائد وملاحقة ما يقوي البدن، لا لطاعة؛ وإنما لكثيرٍ من الانغماس في الملذات. أنواع اللباس والانشغال بها والتسكع في الأسواق، قضاء الأوقات في المقاهي، وهذا إذا لم تعجبه المقاهي الشعبية فهناك من المقاهي الحديثة ما يقضي به وقتًا طويلًا جدًّا، مجموعات المزاح وأنواع الفرجة والصفق بالأسواق والمولات، وهذا دخل لدراسة علم الشريعة لأجل أن يتخرج بعد ذلك في الوكالات والمرافعات التي تجلب الأموال الطائلات، وآخرون يقضون أوقاتهم منهمكين في استثمار الأموال.

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه تاجرًا، وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كذلك، وكان عثمان رضي الله عنه أيضًا؛ ولكن لم تشغلهم تجارتهم عن ذكر الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطلب العلم والجلوس عند النبي ﷺ.

وكان بعض مشايخنا رحمهم الله يشتغل من رمضان إلى الحج على سيارة أجرة، ثم يكسب بها قوتًا ينفقه على نفسه وأهله مشتغلًا بطلب العلم بقية السنة.

نذر الخطر

أصبحت الأوقات اليوم موزعة بين الصفق في الشوارع بالسيارات، والسهر على هذه الشاشات، وقضاء الأوقات في أنواع الحوارات في المنتديات، ثم يأتي التلفزيون التفاعلي لإكمال ما نقص إن كان قد نقص شيء والمنافسة في الحلبة.

وهكذا أقفرت كثيرٌ من حِلق العلم وقلَّ عدد الطلاب، وصارت مشاهد بيع الكتب في المكتبات المستعملة نذيرًا خطيرًا، ومع ارتفاع الكثافة السكانية؛ لكن عدد الحلق ومن يأتيها في نقصٍ؛ مع أن العلم يُؤتى ولا يأتي، ومع ذلك فإن الكثيرين لم يستفيدوا حتى من التقنيات المعاصرة في طلبه، وهذا أضعف همم حتى بعض المشايخ في التدريس؛ فلما كان الطلاب يأتون كان أبو الحصين الأسدي رحمه الله قد قضى خمسين سنة في مسجد واحدٍ يُعلِّم الناس ويفقههم لم تفتر له همة ولم تنكسر له عزيمة. مع كثرة المشغلات السمعية والبصرية اليوم وأنواع الزينات والفرجة ومتابعة الأفلام والمسلسلات الأكشن وغيرها من الأشياء الترفيهية والانتقال عبر هذا الريموت بالأزرار من مشهد إلى مشهد -قلَّت القراءة

جدًا وضعف الإقبال على طلب كتب العلم الشرعي؛ لأن الانشغال قد حصل بالصحف والروايات وهذه البرامج والمسلسلات.

إذا رأيتَ شبابَ الحيِّ قد نشأوا
لا ينقلون قلال الحبر والورق
ولا تراهم لدى الأشياخِ في حِلقِ
يعون من صالح الأخبار ما اتَّسق
فذرهمُ عنك واعلمْ أنهم هَمَلٌ
قد بَدَّلوا بعلوِّ الهمَّة الحمق

قلة الإقبال على العلوم الشرعية حتى في الجامعات عزف الكثيرون لأجل الإنكباب على الدنيا والجري وراء الأموال. نعم لقد صارت الحياة بتعقيداتها مسرحًا في السعيِّ للازدياد من الأموال وعمل ثان وثالث أيضًا، وقضية أرتفاع الأسعار وكثرت الفواتير التي تستنزف الراتب؛ جعلت الناس يعيشون أيضًا في نوع من اللهث المتواصل وراء تحصيل أموالٍ يسددون بها الفواتير، وضيق سُبل العيش وحصول أنواع من الظلم وكثرت التهافت أيضًا، وما يكون من قلة ذات اليد

التي تشغل عن طلب العلم؛ لأن الفقر من الأعداء، وإذا صارت الفوضى موجودة، وكثُر المثبطون، وعمَّ التسويف، وصار التفريط في طلب العلم من الصغر:

إذا أنتَ لم تزرعْ وأبصرْتَ حاصدًا
ندمْتَ على التفريطِ في زمنِ البذر

وفات القطار؛ مع أن الأوان في طلب العلم لا يفوت حتى لو كان الإنسانُ قد بلغ من الكبر عتيًّا.

مصاحبة البطالين اليوم، وقضاء الأوقات الطويلة في المكالمات، كلام لا يعنيه، «ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، لا يفيده؛ لا في الدنيا ولا في الآخرة. وحصول التداخل في المهام والواجبات، وهذه الفوضى الموجودة البعيدة عن التنظيم؛ أورثت كثيرًا من الانصراف عن طلب العلم.

الإشغال والانشغال

أيها الإخوة والأخوات: إنَّ قضية الإشغال والانشغال؛ إشغال من قبل أعدائنا وأصحاب الكسب من وراء الترفيه وغيره، جعلت قضية الطرح المكثف للمسموعات والمرئيات والمقروءات بحيث تستولي على آلات كسب العلم الثلاثة: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: الآية ٣٦] فصارتْ هذه مشغلة اليوم؛ أسماعنا، وأبصارنا، وعقولنا، مُشغلة اليوم وعليها ضغط مكثف من هذا البث المتواصل الذي يحصل في العالم، والسعي والسباق للمستجدات والموضات وملاحقة كل جديد والإنفاق عليه، أضاع أوقاتًا وأموالًا، ثم ليت السهرُ صار فيما يفيد؛ بل كثيرٌ منه في المعصية وفي ما لا يفيد. كان علماؤنا يسهرون في الليل تدبرًا وقراءةً وحفظًا.

وانشغالات كثيرين اليوم بالإشغالات التي حصلت والاستجابة للطرح المكثف الموجود والقصف المتواصل على الأسماع والأبصار والأفئدة، هو الذي جعلها تنشغل عن المفيد؛ من عبادة الله، وتعلم دينه.

وإذا كان بعض الصحابة قد تحسر بقوله: +ألهاني عنه الصفق بالأسواق؛ في قضية ما فاته من الحديث، فكيف بنا نحن مع أنا الذي اشتغل منهم بشيء إنما اشتغل به لنفقة أهله، ونفقة الأهل واجبة، ونحن نعلم أن الأشغال ليست على درجة واحدة:

أولًا: انشغالات مبررة من جهة الأصل ومبررة من جهة المقدار، كطلب الرزق ومتابعة الأهل وتربية الأولاد إلى آخره.

ثانيًا: انشغالات مبررة من جهة الأصل لكن غير مبررة من جهة المقدار، كالانهماك الزائد في الأعمال التجارية والوظيفية مثلًا.

ثالثًا: هنالك انشغالات غير مبرة أصلًا، وبعضها انشغالات محرَّمة؛ كانشغال بمعصية، ترف، تضييع أوقات في الأسفار، أحدهم يقول: شاهدت الفيلم الفلاني عشر مرات!! وهكذا القصص الموجودة في الأجهزة اليوم، وهي قصص غرامية تثير الشهوات، وكذا لما أُغلقت الأنوار في العاصمة عند الساعة ١٢ ليلًا ارتفعت أسعار الاستراحات

والشقق؛ لأنهم يريدون أن يسهروا، ولا بد لهم من نظام المجموعة، ولكن ماذا يكون فيها؟

فالتوسع في ملاذ الدنيا والحرص على قضية الاستراحة، وأخذ الراحة، ثم الانشغال بتتبع كل جديد، وغشيان المولات والصفق في الأسواق، والاستمتاع بالتمدد في الاستراحات والمقاهي، وهكذا صارت اليوم بجاذبيتها وما فيها من الديكورات، وأنواع المشغلات داخل المحل، وطريقة الجلسة، وماذا تتناول؟ وماذا تطلب؟ وهذه القائمة الطويلة ونحو ذلك -مُصمَّمة بحيث تقضي في الوقت والمكان أطول وقت ممكن، وإذا تأملت في أيِّ شيء ستجده كماليات وترفيهًا ليس إلا.

صور من حرص السلف على العلم

كان يحيى بن يحيى الليثي رحمه الله جالسًا يومًا مع أصحاب الإمام مالك رحمه الله فقال قائل: قد حضر الفيل! فخرج من في الدرس ينظر إليه إلا هو ثبت، فقال له مالك رحمه الله: لما لم تخرج فتراه، ليس بأرض الأندلس؟ فقال له يحيى: إنما جئت من بلدي لأنظر إليك وأتعلم من هديك وعلمك؛ لا لأنظر إلى الفيل. فأُعجب به مالك وسَمَّاه عاقل أهل الأندلس، وانتهتْ إليه الرياسة في العلم بالأندلس[(١)].

وأبو عاصم النبيل المحدِّث المشهور رحمه الله إنما لُقب بالنبيل؛ لأن الفيل لما قدم البصرة وخرج الناسُ إليه وانفضَّ أصحابُ ابن جُريج عنه الجالسين لأجل الفيل، إلا أبا عاصم، فقال له الشيخ: ما لك لا تنظر؟ قال: لا أجد منك عوضًا. قال: أنت نبيل. أي أن الدرس يفوت والفيل لا يفوت.

(١) كما في ترتيب المدارك وتقريب المسالك.

له هِمَمٌ لا مُنتهى لكبارها
وهمّته الصغرى أَجَلُّ من الدهر

قال الحافظ السلفي رحمه الله -هذا ممن عُمِّر-: لي ستون سنة ما رأيتُ منارة الإسكندرية إلا من هذه الطاقة. يعني: طاقة حجرته في المدرسة. ومنارة الإسكندرية من عجائب الدنيا السبع؛ لكن ما كانوا يخرجون هكذا لتضييع الأوقات وليس فقط للفرجة.

الإنسان يحتاج إلى نوع ترويح نعم، ويمشي في الأرض فينظر فيها، وفي خلق الله ما يستدل به على توحيده ويزداد به إيمانه؛ ولكن قضية نزهة البطالين هذه، وهذه الأسفار القصد الزواج والطلاق وزواج المسفار؛ يجلس مع البنت أسبوعين، حتى صرنا في قضية عالم الشهوة حتى في إثارة الشهوات ليست الأشياء المحرَّمة عند البعض -وهذا بلا شك أهول- تطلُّب المزيد في عالم الشهوة في بند الحلال؛ لكن هذه الإثارات صارت مشغلة فعلًا في قضية الشهوة، وقضية طلب مسيار واحد واثنين وثلاثة وأربعة والداخل والخارج؛ يعني ضغطًا متواصلًا على الأعصاب وعلى الجسد وإنهاكًا؛ لأن عالم الجنس اليوم صار يدفع إلى كثيرٍ من هذا، وصارت

القضية بالتالي غشيان العيادات والأدوية والمقويات، وصار هذا يحتل جزءا كبيرًا من الذهن والدماغ والقلب، بدلًا من أن يكون طلب العلم في هذا.

صور من حال الصحابة رضي الله عنهم

ولو نظرنا إلى حال الصحابة رضوان الله عليهم لَمَّا احتاجوا إلى طلب الرزق ماذا فعلوا؟ جاءت قضية النوبات، واقتسام الأوقات، وتوزيع المهام، والعملية التكاملية، وكان عمر رضي الله عنه مع جار له يتناوبان: كنتُ أنا وجار لي من الأنصار -يقول عمر رضي الله عنه- نتناوب النزول على رسول الله ﷺ؛ ينزل يومًا وأنزل يومًا، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك.

قال ابن حجر رحمه الله تعليقًا على هذا الحديث الذي رواه البخاري: وفيه أن الطالب لا يغفل عن النظر في أمر معاشه وحال أهله؛ ليستعين على طلب العلم وغيره، مع أخذه بالحزم في السؤال عما يفوته يوم غيبته لو اضطر للغياب. لكن اليوم هم يغيبون عن الدرس أصلًا.

قال ابن حجر: لما عُلم من حال عمر رضي الله عنه أنه كان يتعانى التجارة إذ ذاك ويتعاطاها.

عثمان رضي الله عنه كان من أثرياء الصحابة؛ لكن لم يشغله ذلك عن طلب العلم، وأنفق الأموال في إعداد الجيوش في سبيل الله. وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لما احتاج دخل السوق وباع واشترى. ولو نظرت في تجارات الصحابة فهي لا تخلو من قضية الاستيراد والصفقات؛ يرسلون قوافل، يشتري بضاعة من الشام يبيعها في المدينة، يشتري من اليمن فيبعها، انتقال السلع من مكان إلى مكان، من مكان الوفرة إلى مكان الندرة، يسمح للبيع بسعر أعلى؛ فكسب الصحابة في عملية الاستيراد والبيع، وكسبوا في قضية الصفقات، دخل عبد الرحمن السوق تحين سلعة بسعر قليل ثم باعها بسعر أعلى، وهكذا عملية صفقات؛ يشتري ويبيع، يوفرون بها أموالًا لإعداد الأمة وتقدم الأمة، والنفقة على أنفسهم وأهليهم.

وبعض الصحابة لم يكن عنده رأس مال أصلًا، فهل ترك العلم أو ترك الصدقة؟! أبدًا ماذا كانوا يفعلون؟

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ناسٌ إلى النبي

ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجالًا يعلمونا القرآن والسُّنة. فبعث إليهم سبعين رجلًا من الأنصار يُقال لهم: القراء فيهم خالي حرام -اسمه- يقرءون القرآن ويتدارسونه بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة والفقراء، فبعثهم النبي ﷺ.... (١). معنى ذلك أن ما كان عنده رأس مال، كان يحتطب، وكنا نتحامل -يقول الصحابي- يعني: يؤجر نفسه حمالًا؛ لكي يكسب شيئًا يشتري به ماءً يضعه في المسجد.

الشاهد: أن قضية العمل بالبدن في الاحتطاب والحمل كانت عند الصحابة الفقراء يكسبون بها قوتهم، ويتصدقون، ورب درهم خير من مائة ألف درهم. لم يشغلهم هذا حتى عن معرفة كيفية التخاطب مع العبيد والخدم.

كان لابن الزبير مائة غلام، ولهم ألسن مختلفة، فكان يخاطب كل واحد بلسانه؛ يعني بلغته؛ أي تعلم اللغات.

وهذا زيد بن ثابت رضي الله عنه قد فعل ذلك وتعلم ثلاث لغات، كل واحدة بمعدل ١٥ يومًا.

(١) رواه مسلم.

صور من حال الصالحين

قال حماد بن زيد: قال لي أيوب: الزمْ سوقك؛ فإنك لا تزال كريمًا على إخوانك ما لم تحتج إليهم.

وكان أبو حنيفة النعمان له دار كبيرة لعمل الخز وعنده صناع وأجراء؛ يعني يدير شبه مشغل.

وكان ابن المبارك له تجارة، وكان إمامًا في الفقه والحديث والزهد.

وكان عون الدين أبو المظفر بن هبيرة الوزير عالمًا كبيرًا محدثًا وفقيهًا، ولم تشغله أعباء الوزارة عن طلب العلم والتأليف والتصنيف، وكان مكبًا مع أعباء الوزارة على العلم وتدوينه، كما قال الذهبي في سير أعلام النبلاء.

وحمزة بن حبيب الزيات -أحد القراء السبعة- كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان؛ فقيل له: (الزيات) لأجل ذلك.

ويعقوب بن سفيان الفسوي رحمه الله إمام أهل الحديث بفارس، كان يشتغل بنسخ الكتب بالأجرة ليلًا حتى يتوفر له

ما يكفيه في طلب العلم نهارًا.

والقفال المروزي من كبار علماء الشافعية، كانت صناعته عمل الأقفال.

وكان النووي رحمه الله يساعد والده في دكان له صغيرة، فلم يشغله ذلك عن قراءة القرآن وحفظه في سن مبكرة.

ونشأ الشيخ محمد بن إسماعيل الحايك عاميًّا؛ لكنه كان محبًّا للعلم يحضر مجالس العلماء، ويجلس للسماع والتماس البركة، ولا يفوته الصف الأول، فجعل الشيخُ يؤنسه ويلاطفه ويسأل عنه إذا غاب؛ فشدَّ ذلك من عزمه واشترى الكتب، وبدأ في طلب العلم الجاد؛ فصار من النابهين، وأتقن علوم الآلة حتى صار فريدًا في زمانه في الفقه والأصول، يأتيه الناس لحل المشكلات العويصة في المسائل، فيجيبهم بما يعجز عنه الكبار.

وعلي كزبر كان خياطًا في سوق المسكية، يقول الشيخ علي الطنطاوي: على باب الجامع الأموي، فكان إذا فرغ من عمله ذهب وجلس في الحلقة في المسجد بعد ما يقفل الدكان، فقرأ ودأب في المطالعة حتى صار يقرأ بين يدي الشيخ في

الحلقة، ولبس على ذلك مدة لا يفارق دكانه ولا يدع عمله حتى صار مُقدمًا في كافة العلوم، فلما مات الشيخ حضر في الحلقة الوالي والأعيان والكبراء ليحضروا أول درس جديد بعد موت الشيخ، فافتقدوا المعيد مَن الذي يُقرأ بعد الشيخ؟ فلم يجدوا من يعيد الدرس ففتشوا عنه، فإذا هو في دكانه يخيط، فجاءوا به فقرأ الدرس وشرحه شرحًا أُعجب به الحاضرون، فعُيِن مدرسًا -هو نفسه صاحب الدكان- ولبس خمسة عشر عامًا يُدرس، وبقيت الخطبة في أحفاده إلى اليوم.

الكسبُ في حياة الإنسان ضرورة؛ لكن الجمع بينه وبين طلب العلم لا بدَّ منه، ولو فرضنا حصول التزاحم، فما هو الذي يُقدم؟ وما هي القناعة التي يجب أن تكون في النفوس حتى يكفيها ما يأتيها بحيث لا تبقى في حال لهاث متواصل من أجل جمع الأموال؟

قال النووي رحمه الله: كان السلف -يعني اتفقوا على أن الاشتغال بالعلم أفضل من الاشتغال بنوافل الصلاة والصوم والتسبيح ونحو ذلك من عبادات البدن، فكيف بمن انشغل اليوم بشبكة الانترنت، والخروج إلى البر، ومتابعة المباريات

وسوق الأسهم؟

ولا تحفلْ بمالك واله عنه
فليس المال إلا ما علمتا
وليس لجاهلٍ في الناس معنى
ولو مُلك العراق له تأتى
وما يغنيك تشيد المباني
إذا بالجهل نفسَك قد هدمتا
جعلت المالَ فوق العلم جهلاً
لعمرك في القضية ما عدلتا
وبينهم بنصٍّ الوحي بَوْنٌ
ستعلمه إذا +طه؛ قرأتا
لئن رفع الغنيُّ لواء مال
لأنت لواء علمك قد رفعتا
وإن جلس ْالغنيُّ على الحشايا
لأنت على الكواكب قد جلستا
وإن ركب الجيا١د مسوماتٍ
لأنت مناهج التقوى ركبتا

وليس يضرك الإقتارُ شيئًا
إذا ما أنت ربَّك قد عرفتا

لو كنت فقيرا قُدر عليك رزقك، فأنت على الكواكب وقد عرفت ربك، فأنت في المعالي والدرجات.

الألباني والبحث عن الوظيفة الحرة

وقضية البحث عن الوظيفة المناسبة والعمل الحر، والانتقال في الأعمال حتى يصل الإنسان إلى نوع معين من التركيبة في العمل أو الوظيفة يستطيع به أن يطلب العلم، هذا شيء مهم: كان البخاري رحمه الله له قطعة أرض يكريها كل سنة بسبعمائة درهم، ولكن ينفقها في ماذا؟

قال الألباني رحمه الله عن نفسه: من توفيق الله وفضله عليَّ أن وجهني منذ أول شبابي إلى تعلم مهنة تصليح الساعات، وذلك لأنها حرة لا تتعارض مع جهودي في علم السُّنة، فقد أعطيت لها من وقتي كل يوم ما عدا الثلاثاء والجمعة ثلاث ساعات زمنية فقط، وهذا القدر يمكنني من الحصول على القوت الضروري لي ولعيالي وأطفالي -على

طريقة الكفاف، وهذه نقطة مهمة- وسائر الوقت أصرفه في سبيل طلب العلم والتأليف ودراسة كتب الحديث وبخاصة المخطوطات منها في المكتبة الظاهرية.

وقضية الأعمال المسائية وعدم الاكتفاء بالأعمال الصباحية، هذا لا بد أن ينظر فيه؛ لأننا في الحقيقة ينبغي أن نصل إلى نتيجة، هل نحن طلاب مال أم طلاب علم؟ هل نحن طلاب دين أو طلاب دنيا؟ لأن قضية الأولويات تحدد تحديدًا مهمًّا في هذا الموضوع، فإذا رُزق الشخص من القوت ما يكفي فعليه إذًا أن يدخل في هذه المجالات الشرعية بجدية.

ليست المسألة رفض مال يأتيك، فربما ينعم الله عليك بمال كثير من عمل قليل؛ فهناك ناس يعملون بالجوال صفقة واحدة من الممكن أن يكسب بها قوت سنتين، أو يدل واحدًا على أرض ويأخذ نسبة من الدلالة تكفيه ثلاث سنوات، فليست المسألة الآن رفض الأموال التي تأتي؛ لكن المسألة قضية الانهماك وقضية الانشغال.

لا بد من تفريغ وقت لطلب العلم

مهما كان الانشغال لا بدَّ أن يفرغ المسلم وقتًا من وقته لطلب العلم، وتعلم الفرائض والعبادات والمعاملات، أشياء هو يمارسها حتى في المهن؛ فهذا الطبيب يجب عليه أن يتعلم أحكام العورات ومعالجة قضايا النساء وعمليات التجميل إذا كان له دخل في هذا، وأشياء كثيرة في أحكام الطب، وحتى الأبحاث والجينات والوراثة وزراعة الأعضاء، وكذلك فإن المدرس عليه أن يتعلم من الفقه حتى في القضايا المتعلقة بالعدل بين الطلاب، والمدير في أعمال الحقوق والعقود وأحكام العقود والبنود وتطبيق العقوبات، وما هو الجائز؟ وما هو التعسفي؟ وما هو العدل في هذا؟ وكيف يحكم في الأمر؟

وهذا التاجر الذي يجب أن يتعلم أشياء كثيرة في أحكام البيع والشراء، وما يتعرض له من العقود والتأمين، وفتح الاعتمادات، والقروض والرهن، وأنتم تعلمون بعض التجار لا يخرجون الزكاة، يقول: أنا أتصدق أكثر من الزكاة التي أخرجها. لماذا؟

يقول: لا أستطيع أن أخرج زكاتي عشرين مليون. فهم إذًا تأصل حبُّ الدنيا والمال، فكيف يُخرجون هذه الملايين التي لا تطيب بها أنفسهم لله؟ أيحسبون الذي يبخلون به خير لهم؟ قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨٠].

ومسألة الانشغال -أيها الإخوة- لا بدَّ أن يقنع الإنسان فيها نفسه بجدٍّ، وكثير من الناس يُكرر حياته عدت مرات؛ فقد يكون مضى عليه ثلاثون سنة هو في الحقيقة عمره سنة واحدة تكررت ثلاثين مرة؛ لا يوجد جديد، ولا ارتقاء، ولا تحسين، ولا زيادة بالخير. والفيروزآبادي -صاحب القاموس- كان يقول: لا أنام حتى أحفظ مائتي سطر.

وكان أبو إسحاق الحربي يقول عن أحمد: ما وجدته في يومٍ إلا أزيد من اليوم الذي قبله.

وكان تجار بعض الأسواق كانوا يفتحون محلاتهم من بعد صلاة الفجر ثم يفتحون المصاحف لقراءة القرآن حتى يبدأ الزبائن بالإتيان، ويتوارثون هذا العمل أبًا عن جدٍّ، وهذا سائق ليموزين خَصَّصَ بين المغرب والعشاء -يوقف

السيارة- ويذهب إلى المسجد.

وكان موسى عليه السلام قائد أمة، فلما علم برجل أعلم منه عند البحر ركب إليه؛ رغم انشغاله ببني إسرائيل، ولكن عن أمر الله تعالى لم يذهب إلا بعدما أذن له ربُّه، وجاع وقاسى وقال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: الآية ٦٢].

ذريني أنل ما لا يُنال من العلا
فصعبُ العلا في الصعبِ والسهلُ في السهلِ
تريدين(١) إدراك المعالي رخيصةً
ولا بدَّ دون الشهد من إبر النحلِ

(١) أي

عدم التفرغ لا يعني ترك الطلب

عدم التفرغ للعلم لا يعني ترك الطلب؛ إذا لم يستطع الإنسان التفرغ الكامل لطلب العلم أو الرحلة للعلماء الأجلاء الربانيين، فعلى الأقل يجتهد حسب وسعه وطاقته في إدراك ما يمكن إدراكه؛ لأن ما لا يدرك كلُّه لا يترك كله.
وكثيرٌ من الصحابة والمهاجرين طلبوا العلم مع تعدد مشغولياتهم وأسرهم وأولادهم، وصفقوا بالأسواق؛ لكن ليس كل شيء في حياتهم الصفق بالاسواق: أبو هريرة رضي الله عنه ما صفق أبدًا، قال: إنَّ إخواننا المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم -يعني في المزارع- وإنَّ أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون(١).

فلا يقال: كيف أسلم في العام كذا وروى آلاف الأحاديث؟

(١) رواه البخاري.

إنما ذلك بالتفرغ؛ فالإنسان مع الشغل الذي عنده يستطيع أن يكون له ورد من القرآن يوميًّا، ويستطيع أن يكونْ له ورد في الحفظ والتلاوة يوميًّا، ويستطيع أن ينتهز أنواع من المشاوير -خصوصًا في المدن المزدحمة- التي يُقضى فيها بالمعدل ساعتين في السيارة يوميًّا في قضية المشاوير والذهاب والإياب، فماذا تسمع فيها؟

الانتفاع بالتقنيات الحديثة

يا إخواني: لماذا الله عزَّ وجلَّ وفَّر لنا هذه التقنيات اليوم، وهذه الحافظات الإلكترونية الضخمة؟ فأنت عندك الآن أشرطة، وعندك الإسطوانات، المدمجة وعندك المشغلات، و(mp٣) وحتى لو كانت الدروس مصورة، و(mp٤) وحتى هذه المشغلات تعمل على في السيارات ثم تلتقط على موجة «fm» وتسمعها، وحتى هذه الرسائل «sms» الطويلة المحولة؛ فأنت الآن بمجرد الضغط الإبهام تتصفح هذه الجوالات ذات الشاشات العريضة التي اختُرعت الآن باللمس -بالإبهام- فتستطيع أنت تقرأ كتب كثيرة الآن، ومنها طريقة الجوال، ولما صار الكتاب الكترونيًّا، والآن

أمازون أخرجت الكتاب الألكتروني بقدر الكف شاشة تُقرأ حتى تحت الشمس لدرجة اللمعان خاصة، وهذه الشاشات ستتطور حتى أنهم سيطوون شاشة المحمول وشاشة اللاب توب. وإذا كانوا يتحدثون اليوم عن شيء يلف حول المعصم واختراعات ستأتي، والعلم عند الله تعالى. وهناك تحميل من مواقع على الجوال، وجامعات أون لاين تُدرس عن طريق الشبكة؛ فهناك جامعات تدفع لبعض الطلاب الفقراء وتأخذ من الطلاب الأغنياء عن طريق نقل الدروس المباشر، وهذه القنوات العلمية التي تُحمِّل على جوالك منها ما تقرأ به في مدة انتظار العيادة المستشفى، وعند الحلاق، وفي سائر أماكن الانتظار. وكذلك البث عن طريق الإنترنت تقنية الـ(iptv) التي يمكن عن طريق أي شبكة (lan) تحميل من الخوادم ما يسمى بتقنية (الديو اند مان) بحسب الطلب تُحمل والبث موجود وتختار البرنامج الذي تريده، فإذا ما اغتنمت تقنية الـ(iptv) هذه في إعداد قنوات علمية على الجوال مثل قنوات التلفزيون؛ لكن فيها أنواع البرامج بكافة العلوم لكافة المشايخ، وبطريقة الحقن أو بطريقة السحب والتحميل مع السرعات العالية اليوم التي تستطيع بها الاستعراض بدون

قضية التوقف، وهذه الأجهزة هذا جهاز الأيفون من ماك للتصفح والبحث، وهذا في قضية تحميل مئات الآلاف من الصفحات، فالآن نحن نعيش في عصر التخزين العالي والسرعات العالية مع تطور وسائل البحث، ماذا يعني ذلك؟ لاب توب فيه اثنان هارد ديسك واثنان تيرابيت تستخدم هذا الحجم الهائل، والمكتبة الشاملة الآن محملة وحتى صور الكتب الأصلية (المخطوطات) فلو شككت في هذا المطبوع يمكنك أن تقارن بين الأصل والمخطوطة لتتأكد.

صدق العزيمة والنية

لكن يا إخوان المشكلة هي قضية الهمة والنية، وإلا واللهِ لو صار عندنا نوايا صحيحة، وأهداف سليمة، وإخلاص لله، واستثمار الوقت المتاح، واغتنام مدة النشاط والقوة، وإنجاز الأهم فالأهم، وتعويض ما فات، ولكل زمان عمل، واستعمال الوسائل الحديثة، والمبادرة بالفرصة قبل الغصة، والتعاون، والحذر من البطالة والغفلة، واستثمار فترات الانتظار، والمطالعة مع التفكير حتى لو تمددت فأنت تُعمل عقلك فيما قرأت، وهكذا ترك التوافه، والبدء بالعمل، وطرد

التسويف والجداول، فالتقنية ما تركت شيئًا، ولذلك حجةُ الله علينا في هذا الزمان عظيمة، لقد كانوا -أي سلفنا الصالح رحمهم الله- أصحاب عزيمة في قضية الانشغال بالعبادة والعلم.

وهناك واحد عنده صدق في العزم، صاحب مخبز، يعمل من الرابعة صباحًا إلى قرب المغرب، والمخبز في المغرب مثل السرداب المظلم والحرارة فيه مرتفعة، وحفظ القرآن قراءة ورش وحفص، وكتاب التوحيد، وسلم الوصول، والبيقونية، والأربعين النووية، والآجرومية، والأصول الثلاثة، ومتن تحفة الأطفال، والجزرية، وعمدة الأحكام، وملحة الحريري.

خبَّاز في سرداب مظلم، تحت درجة حرارة مرتفعة!!

إذا كان هؤلاء -بعض العمالة الأجنبية- في الجري، وفي الصيد، وفي المشي، لا بدَّ أن يسمع الموسيقى ويضع له الجهاز والسماعة هنا، لمدة ساعات طويلة عن طريق (٣mp) مثلًا ويسمع، فما بالك نحن المسلمين أهل الدين الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، لماذا لا نستثمر هذه الأوقات في طلب العلم؟ وقد تيسرت السبلُ، أين استدراك ما فات؟

يقول عمر رضي الله عنه: فإذا نزلتُ جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك.

كان عند الصحابة مبدأ التعاون في طلب العلم، كل واحد يحمس الآخر، وكان بعض المشايخ يراجعون القرآن في الحفظ، والحرص على الطلب من البداية، ورغم كثرة الأعمال: «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، صحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك».

قال ابن الجوزي: إني أذكر نفسي ولي هِمَّة عالية وأنا في المكتب ابن ست سنين وأنا قرين الصبيان الكبار، حتى إني كنتُ ولسبع سنين أحضر رحبة الجامع، أطلب المحدث فيتحدث بالسير فاحفظ جميع ما أسمعه، وأذهب إلى البيت فأكتبه.

قال عمر رضي الله عنه: تفقهوا قبل أن تسودوا. وقال البخاري رحمه الله: وبعد أن تسودوا.

وروى الخلال أن رجلًا سأل أحمد: إني أطلب العلم وإن أمي تمنعني من ذلك تريد أن أشتغل بالتجارة، قال: دارها وأرضها ولا تدع الطلب.

الصبر على طلب العلم وتحمل المشاق

لا بد من تعب؛ فلا يأتي العلم بالملعقة.

دَبَبْتَ لِلْمَجْدِ والسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا
جَهْدَ النُّفُوسِ وألْقَوْا دُونَهُ الأُزُرَا
فَكَابَرُوا المَجْدَ حتَّى مَلَّ أكْثَرُهُمْ
وَعانَقَ المَجْدَ مَنْ أوْفى وَمَنْ صَبَرَا
لاَ تَحْسَبِ المَجْدَ تَمْرًا أنْتَ آكِلُهُ
لَنْ تَبْلُغَ المَجْدَ حتَّى تَلْعَقَ الصَّبِرَا

واجب المقتدرين في تفريغ طلاب العلم الشرعي

كان فلان العالم له أخ ينفق عليه، وقال فلان لفلان: اطلب وأنا أكفيك.

فدور الأغنياء الأثرياء في تفريغ الطلاب النابهين؛ وليس أي طالب، فلا بد أن يؤتى بالطالب النابه، الطالب الألمعي، الطالب صاحب القدرة على الحفظ والفهم والاجتهاد والاستنباط وعنده ملكة، هذا يُفرغ؛ لأنه خسارة أن يعمل مثلًا عملًا وظيفيًا أو عملًا مكتبيًا؛ بل هذا لا بدَّ أن يوجه لفهم الكتاب والسُّنة.

قال الطبري في حديث: «من جهز غازيًا فقد غزا، ومن خلف غازيًا في سبيل الله بخيرٍ فقد غزا»: فيه من الفقه أن كل من أعان مؤمنًا على عمل برٍّ فللمعين عليه أجرٌ مثل العامل، فمن فطر صائمًا، أو أعان حاجًا أو معتمرًا، أو طالب علمٍ، فله مثل أجره.

زمن الانشغالات الذي نعيش فيه اليوم، سواء كانت كما قلنا انشغالات تجارية، انشغالات وظيفية، انشغالات دراسية،

فيوجد ناس منهمكين في المختبرات والبحوث، أو في عالم الترف والقصص والمقاهي والشلل، وفي ضياع الأوقات الحادث الآن، فلا بد من مقاومة التيار، ولا بد أن نكون جادين:

أولًا: لا بد أن يكون لنا همة عالية.

وقضية التأمل في أخبار من سلف يفيدنا في اكتساب شحنة لدفعنا للعمل، وقضية استمراء الملذات التلذذ بهذه الملهيات لا بدَّ أن يكون له خط يوقف عند حده.

سهري لتنقيح العلوم ألذُّ لي
من وصل غانيةٍ وطيب عناقي
وصرير أقلامي على صفحاتها
أحلى من الدوكاء[(١)] للعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفها
نقري لأُلقي الرمل عن أوراقي
وتمايلي طربًا لحلِّ عويصةٍ
أحلى وأشهى من مدامة ساقي

(١) الجماع.

أأبيتُ سهران الدُّجى وتبيته
نومًا وتبغي بعد ذاك لحاقي؟!

قال ابن الجوزي: نظرتُ إلى علوِّ همتي فرأيت عجبًا؛ وذلك أنني أروم من العلم ما أتيقن أني لا أصل إليه؛ لأني أحب نيل كل العلوم على اختلاف فنونها، وأريد استقصاء كل فن، وهاأنا أحفظ أنفاسي من أن يضيع منها نفسٌ في غير فائدة، ولا يحل لهم ضياع الأوقات بدون فائدة.

وقال ابن القيم رحمه الله: وأعرف من أصابه مرضٌ من صداع -لعله يقصد نفسه- وحمى، وكان الكتاب عند رأسه، فإذا وجد إفاقة قرأ فيها، فإذا غُلب وضعه.

فإذا كان المنشغل يريد طلبًا للعلم ولا يسعى له ولا يبذل له جهدًا، فمتى سيحصل المراد؟

ترجو النجاةَ ولم تسلكْ مسالكها
إنَّ السفينةَ لا تجري على اليبسِ

لا بدَّ لوضع حد لهذه الانشغالات، واكتفي بما لا بدَّ منه، ثم بعد ذلك تُصرف الأوقات في عبادة الله وتعلم دينه، ولا بدَّ من التعب:

ومَن رَامَ العلومَ بغيرِ كدٍّ
سيدركها إذا شَابَ الغرابُ

متى يشيب الغراب؟ لا نعلم.

والناجحون لا يملكون وقتًا أكثر من غيرهم؛ ليس عندهم إلا ٢٤ ساعة؛ لكنه يعرف كيف يستعملها؛ وذاك الفارغ البطّال لا يعرف كيف يستعملها؟

ومن طلاب العلم من عنده وِرْدٌ يومي في القرآن وعنده عمل: طالب، موظف، وعنده حضور درس في آخر النهار، وعنده حاجات الأهل، وعنده زوجة وأسرة ويصل الرحم.

البركة في الوقت

قال إبراهيم الحربي: أجمع عقلاءُ كل أمة أن النعيم لا يدرك بالنعيم؛ فإن كنت تريد الراحة؛ راحة الآخرة فلا تأتي براحة الدنيا.

ورحل مسروقُ إلى البصرة في تفسير آية، فقيل له: إن الذي يفسرها رحل إلى الشام، فتجهز ورحل إلى الشام حتى علم تفسيرها.

فمنَ ذاق حلاوة العلم؛ تذهب هذه الحلاوات الأخرى.

فلو ذقت من حلواه طعمًا
لآثرت التعلمَ واجتهدت
ولم يشغلك عنه هوى مُطاع
ولا دنيا بزخرفها فُتِنتَ
ولا ألهاك عنه أنيقٌ روض
ولا خدرٌ بربربه كَلِفتَ

فقوتُ الروح أرواحُ المعاني[1]
وليس بأن طعمت وأن شربت

وقيل للشافعي: كيف شهوتك للعلم؟

قال: أسمعُ بالحرف مما لم أسمعه فتود أعضائي أن لها أسماعًا تتنعم به كما تنعمت به الآذنان.

قيل له: كيف حرصك عليه؟

قال: حرصُ الجموع المنوع في بلوغ لذته بالمال.

فقيل له: وكيف طلبك له؟

قال: طلب المرأة المضلة ولدها ليس لها غيره.

ثانيًا: البدء بالأهم:

قيل لمالك: ما تقول في طلب العلم؟

قال: حسن جميل؛ ولكن انظر الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزمه.

(١) غذاء الروح هي معاني الآيات والأحاديث، هذه غذاء الروح.

فبعض الأشياء قليلة الفائدة؛ وتحصيلها من المستحسنات وليست من الواجبات والقواعد، وفقدها ليس بنقص، والحاجة إليها قليلة، ومع ذلك هناك ناس يشتغلون بالمفضول عن الفاضل:

وإذا طلبت العلمَ فاعلم أنه
حملٌ فأبصر أي شيء تحمل
فإذا علمت بأنه متفاضل
فاشغلْ فؤادك بالذي هو أفضل

قال الخطيب البغدادي رحمه الله: والعلم كالبحار المتعذر كيلها، والمعادن التي لا ينقطع نيلها، فاشتغلْ بالمهم منه.

ولا شك أن علم الديانة، وعلم التوحيد، وعلم التفسير والحديث، هذا هو المطلع، ولذلك تعصب بعض المتخصصين في العلوم لتخصصاتهم أحيانًا يأتي بنتائج عجيبة في كلام خاطئ كما قال ذاك:

فإذا طلبتَ من العلوم أجلها
فأجلُّها منها مُقيم الألسن

يعني: علم النحو.

فأجابه الآخرُ:

فإذا طلبتَ من العلومِ أجلَّها
فأجلُّها عند التقي المؤمن
علمُ الديانة وهو أرفعها
لدى كل امرئ متيقظ متدين
هذا الصحيح ولا مقالة جاهل
فأجلُّها منها مُقيم الألسن
لو كان مهتديًا لقال مبادرًا
فأجلُّها منها مُقيم الأدين

لا شك أن اللغة مهمة في فهم الكتاب والسُّنة؛ لكنها ليست في النهاية أهم من علم التفسير والحديث.

العلوم خمسة:

علمٌ هو حياة الدين، وهو علم التوحيد، وعلمٌ هو قوت الدين، وهو العظة والذكر، وعلمٌ هو دواء الدين وهو الفقه، وعلمٌ هو داء الدين وهو الانشغال بما حصل من الوقيعة بين المتقدمين (السلف)، وعلمٌ هو هلاك الدين؛ وهو علم الكلام والفلسفة؛ الذي يريد العلمانيون الجدد

الآن بالمناسبة فيما يدعون إليه -من ضمن ما يدعون إليه- أن يُطرح بقوة، إعادة الأمجاد إلى علم الكلام والفلسفة، فالمنافقون الجدد -لا شك- يريدون إثارة الشهوات وإثارة الشبهات، فمن الأشياء التي عملوا أو ينادون اليوم بإثارتها العودة إلى علم المنطق والكلام وعلم الفلسفة.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في منظومته:

وبعدُ فالعلمُ بحورٌ زاخره
لن يبلغ الكادح فيه آخره
لكن في أصوله تسهيلا
لنيله فاحرص تجد سبيلا
اغتنم القواعد الأصولا
فمن تفته يُحرم الوصولا

اغتنام أوقات الفراغ

لا يوجد أحد موظف أو تاجر إلا ويجد وقتًا للفراغ، فلماذا إذًا يأخذون أجازة شهر في السنة؟ هنالك أوقات فراغ، هنالك أجازات صيفية ورسمية، وفراغ من العمل بعد الانتهاء منه. وبعض الموظفين عندهم أوقات فراغ في وقت العمل؛ فمنهم من يقرأ فيه الجرائد، ومنهم من يقرأ فيه القرآن، ومنهم من يسمع فيها الغناء، ومنهم من يسمع فيها العلم، وهذه أوقات الانتظار التي تمر بنا بدلًا من التأفف جالسًا في صالة المطار لأن الطائرة تأخرت؛ التأفف لا يجدي، أخرجْ جوالك وتصفَّح ما حملته من نفائس العلم، وهذه الجوالات الإسلامية فيما ترسله تحتاج إلى مراجعة؛ مراجعة الرسائل القديمة، وهذه الذاكرات الإلكترونية التي يمكن أن تُخزن فيها تلك الرسائل التي مرَّ عليها سنة مراجعة الفوائد الملتقطة مهمة جدًا في عملية الاستحضار والاستفادة وإعادة الاستفادة. وكان بعض السلف يقرأ وهو يسير؛ فأبو بكر بن الخياط النحوي كان يدرس في جميع أوقاته حتى في الطريق، وربما سقط في جُرف. أمَّا الخطيب البغدادي كان

يمشي في الطريق وفي يده جزء يطالعه. أبو نعيم الأصبهاني -صاحب الحلية- كان منشغلًا بالتدريس وكان في وقته مرحولًا إليه، فكان إذا قام إلى داره يُقرأ عليه في الطريق. وثعلب النحوي سبب وفاته أنه خرج من الجامع يوم الجمعة بعد العصر، وقد صار عنده شيء من الصمم بحيث لا يسمع إلا بعد تعب، وكان في يده كتاب ينظر فيه في الطريق، فصدمته فرس فألقته في حفرة، فمات اليوم الثاني. الفتح بن خاقان -وزير المتوكل- إذا ذهب للصلاة أو لقضاء حاجة يُخرج أوراقًا يقرأ فيها في الطريق حتى يبلغ ذلك الموضع. الشيخ ابن باز رحمه الله حفظ ألفية العراقي وهو يتوضأ في كل يوم يحفظ بيتًا أو بيتين حتى أكلمها.

تبارك الذي يبلغ الهمم ما لا تبلغه الأجساد!

التعاون

استعنْ بصديق؛ لكن بدل أن تستعين بصديق في الكلام الفارغ، استعن بصديق، استعن بأخٍ في الله، وقد يداخلك الكسل والفتور فتحتاج إلى من يجدد لك الهمة، فالتعاون فيه بركة، وكان جبريل يدارس النبي عليه الصلاة والسلام القرآن؛ هذا يقرأ وهذا يسمع، وهذا يسمع وهذا يقرأ، ويقرأ بعده التناوب. وكذلك استغلال الدورات المكثفة والقصيرة مهم، وكثير ما تُقام اليوم في المدن. فماذا فعلنا في استثمارها؟

ثم «القراءة المثمرة» والمواظبة عليها ولو صفحة في اليوم:

قرأ الخطيب البغدادي رحمه الله البخاري الصحيح على أبي عبد الرحمن النيسابوري الضرير في ثلاثة مجالس -وهذه من الكرامات- اثنان منهما في ليلتين؛ تبدأ القراءة من المغرب وتقطع لصلاة الفجر، والثالث قرأ من ضحوة النهار إلى المغرب، ثم من المغرب إلى طلوع الفجر؛ ففرغ من الكتاب.

وهذه لا تحصل أبدًا؛ إلا أنه -سبحان الله- قد يُعيد بعض اللاحقين أمجاد السابقين.

ذكر السخاوي أن شيخه ابن حجر قرأ صحيح مسلم في أربعة مجالس، في نحو يومين وشيء.

وهذه الدورات التي يسمونها دورات مكثفة، أين شغلنا بهذه الدورات المكثفة؟

العزُ بن عبد السلام رحمه الله كان يخرج إلى المسجد يوم الأربعاء ومعه نهاية المطلب لإمام الحرمين، فيمكث في المسجد يوم الأربعاء والخميس والجمعة إلى قبيل الصلاة؛ فقرأ الكتاب كاملًا في ثلاثة أيام، كتابًا ضخمًا في الفقه الشافعي طبع قريبًا في (٢١) مجلدًا.

نقل ابن رجب رحمه الله في ذيل الطبقات في ترجمة العلامة أبو البقاء العكبري: أنه كان محبًا للاشتغال بالعلم مكبًا عليه ليلًا ونهارًا، ما تمضي عليه ساعة إلا وواحد يقرأ عليه، أو مطالع له حتى أن زوجته بالليل تقرأ له في كتب الأدب.

وكان كثير من المشاهير لا يمشي إلا وفي يده كتب أو أجزاء يطالعها، ويقول ابن أبي حاتم الرازي عن أبيه: ربما كان

يأكل وأقرأ عليه، ويمشي وأقرأ عليه، ويدخل الخلاء وأقرأ عليه، ويدخل البيت في شيء وأقرأ عليه. ووجد شيخ الإسلام يدخل الخلاء ويقرأ عليه من وراء الستار.

يقول الشيخ على الطنطاوي: أنا اليوم وأنا بالأمس كما كنت في الصغر أمضي يومي أكثره في الدار أقرأ، وربما مرَّ عليَّ يوم أقرأ فيه ثلاثمائة صفحة، ومعدل قراءتي مائة صفحة، من سنة ١٣٤٠ إلى سنة ١٤٠٢ هـ لما تكلم بهذا.

وبعض الناس يؤتيهم الله قوة بالإضافة إلى قضية طلب العلم الإشراف على مجالس التحكيم، والعمل رئيسًا لمجالس الأوقاف والأيتام والمجلس الأعلى للكليات الشرعية، وإلقاء دروس في الكلية والثانوية، وخطبة الجمعة، ومحاضرات في النوادي، وحديث في الإذاعة، ومقال يومي في الجريدة، ويقرأ كل يوم مائة أو مائتين إلى ثلاثمائة صفحة، وأنا مستمر على ذلك من يوم تعلمت القراءة وأنا صغير.

ولو نُعطى حب القراءة كحب التلفزيون والقنوات لفعلنا شيئًا كثيرًا.

«أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»، ومعظمُ النار

من مستصغر الشرر، والسيل اجتماع القطر:

اليــوم شــيءٌ وغدًا مــثــلــه ... مــن نــخــب الــعــلــم الــتــي تُــلــتــقــط
يــحــصــل المرء بــهــا حــكــمــةً ... وإنما الــســيــلُ اجــتــمــاع الــنــقــط

تحفظ كل يوم نصف صفحة ستحفظ القرآن ولو بعد سنين، قراءة صفحة من التفسير كل يوم -الهامش هذا الذي في إطار كتب التفسير المختصرة المطبوعة؛ كان التنقيح والجودة شعارًا حتى في التأليف والتصنيف عند المتقدمين؛ كتاب الأموال لأبي عبيدة القاسم بن سلام في أربعين سنة، كم عساه أن يكون؟ لا يتجاوز مجلد، قال أبو عبيدة: كنت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها في الكتاب، فأبيتُ ساهرًا فرحًا مني بتلك الفائدة. يعني: لا ينام من الفرح.

وكان الشوكاني بلغت مؤلفاته ثلاثمائة عنوان؛ ما بين كتاب كبير ومتوسط وصغير، وقد ذكر قاعدة ذكرها في البدر الطالع في ترجمة شيخه علي بن إبراهيم بن عامر، قال: وكنتُ

أعجب من سرعة ما يتحصل له من ذلك -يعني التصنيف- مع شغله بالتدريس، فسألته بعض الأيام عن هذا، فقال: إنه لا يترك النسخ يومًا واحدًا -لا بد كل يوم أن يكتب- وإذا عرض ما يمنع فعل من النسخ شيئًا يسيرًا ولو سطرًا أو سطرين. يقول: فلزمتُ قاعدته هذه فرأيت في ذلك منفعة عظيمة.

كل يوم

اعقدْ لك مجلس تفسير ولو آية فسوف تنتهي بعد ستة آلاف ومتين وستة وثلاثين يوم؛ لكن هناك آيات قصار، وهناك همم تكبر مع الوقت، ولذلك يبدأ الإنسان بأشياء قليلة دائمًا فينتهي بأشياء كثيرة دائمًا.

قال أبو هلال العسكري: حكى لي بعضُ المشايخ أنه قال: رأيت في قرى النبط فتًى فصيح اللهجة، حسن البيان -هذا في بلد أعاجم- فسألته عن سبب فصاحته مع لكنة أهل جلدته، قال: كنت أعمد في كل يوم إلى خمسين ورقة من كتاب الجاحظ فأرفعُ بها صوتي في قراءتها؛ فما مرَّ بي إلا

زمان قصير حتى صرت إلى ما ترى.

أي أن الواحد أحيانًا يقرأ وهو لا يفهم ما يقرأ، ومع كثرة القراءة يبدأ يفهم وتصير عنده ملكة.

الترتيب والمنهجية

لا بدَّ من الترتيب والمنهجية وتنظيم الأمور:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله -يذكر بعض النصائح للطلاب في هذا الباب-:

أولًا: احرصْ على حفظ كتاب الله تعالى، واجعل لك كل يوم شيئًا معينًا تحافظ على قراءته بتدبر وفهم، وإذا عنت لك فائدة أثناء القراءة فقيدها.

ثانيًا: احرصْ على حفظ ما تيسر من صحيح سُنة رسول الله ﷺ، ومن ذلك حفظ كتاب (عمدة الأحكام).

ثالثًا: احرصْ على التركيز والثبات بحيث لا تأخذ العلم نُتفًا؛ من هذا شيئًا ومن هذا شيئًا؛ لأن هذا يضيع وقتك ويشتت ذهنك.

رابعًا: ابدأ بصغار الكتب وتأملها جيدًا، ثم انتقل إلى ما فوقها حتى تحصل على العلم شيئًا فشيئًا.

الآن اخترعوا في الغرب كتاب الجيب، والمشكلة عندما

ترى بعض الشباب ويقرأ كتاب دان براون؛ أي يقرأ كتب فيها أربعمائة صفحة مثل رواية هاري بوتر.

فهناك ناس تقرأ ولكن ماذا تقرأ؟ هذه المشكلة. القمامة بالتدوير تتحول إلى أشياء مفيدة؛ ولكن زبالات أذهان الكفار لا تجني من وراء رحى الأذهان إلا المر والعلقم.

خامسًا: احرصْ على معرفة أصول المسائل وقواعدها، وقيد كل شيء يمر بك من هذا القبيل: (مَنْ حُرم الأصول حُرم الوصول).

سادسًا: ناقش المسائل مع شيخك أو مع من تثق به علمًا ودينًا من أقرانك، وإذا ما حصلت يقول الشيخ: ولو أن تقدر في ذهنك أن أحدًا يناقشك فيها وكيف ترد.

أما قضية التردد: أحد الطلاب يستشير شيخًا ويقول: هل أحفظ المنتقى أم البلوغ؟ وبعد خمس سنوات ما زال يطرح نفس السؤال، ولم يحفظ هذا ولا ذاك!!

إن كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة
فإنَّ فساد الرأي تترددا

وما العجزُ إلا أن تشاور عاجزًا
وما الحزمُ إلا أن تهمَّ فتعملا

هذه المنهجية التي تعين على بلوغ القصد تكتسب بالنصيحة، زتُكتسب بالاطلاع على تجارب الآخرين، وتُكتسب بأن تستشير وتسأل.

وكذلك لزومك لشيخك؛ فإن من فوائد الشيخ أن يدلك على المنهجية ويعطيك شيئًا وتنتهي منه، ثم تأتي للذي بعده وهكذا....

والآن الدورات على الإنترنت كثيرة جدًّا، ولا يقول أحدهم: لا يوجد مشايخ، أو المسجد الذي بجواري ليس فيه درس. فهناك ناس يرحلون وبعض الناس يكسلون.

والآن صارت بالأزرار؛ افتح الدورة بالأزرار، والدرس بالأزرار، وسؤال الشيخ بالأزرار، وسماع الشيخ بالأزرار، ومناقشة الشيخ، صار العلم مبذول؛ لكن أين الثمرة؟ وأين الفائدة؟!

ثم الاستفادة من هذه التقنيات وحتى القنوات الفضائية التي تعرض هذه الدروس العلمية؛ أي صار في بعض

الأشياء مواكبة لهوى أهل العصر، فإذا كان هواهم في التلفزيون وجدوا دروسًا علمية في التلفزيون، وإذا كان هواهم في الجوالات نضع لكم أشياء علمية في الجوالات؛ لكن النفس الأمارة بالسوء والشيطان -الهوى غالب- فلا بدَّ من المقاومة.

وعندنا الآن من أنواع الأجهزة، وأنواع الكتب، وأنواع الوسائل الكثيرة جدًّا.

ثم ليُتحف بعضنا بعض بالفوائد، فإن قرأت فائدة أرسلها بالجوال لكل من عندك من قائمة بالبريد الإلكتروني أرسل الفائدة، بدل أن يرسلوا طرائف ورسومًا، وأحيانًا كلامًا ساقطًا ومقطع فيديو فاضحة.

فنستطيع أن نقدم بهذه الوسائل أشياء تنفع: فهنالك منتديات في الحديث، وفي التفسير، وفي الفقه، وفي العقيدة؛ اعتبرها نشرة أخبار، واعرفْ آخر الأبحاث المعروضة اليوم، وآخر الرسائل الموجودة في مواقع الفتاوى ومواقع السؤال والجواب، وهناك أشياء على الجوال محملة، واختصروا فتاوى المشايخ الكبار ووضعت على الجوالات بمختلف

الأنواع؛ ولكن أين القراء؟ وأين المستفيدون؟

حتى أفلام الكرتون التي للصغار هل لا بد أن نواظب عليها؟! عالم الترفيه وعالم المتعة وعالم التسلية!

أين العالم الآخر؟ وأين اليوم الآخر؟

نحن الآن -أيها الإخوة- نحتاج إلى استثمار أموال وجهود في المواقع والقنوات التي تنشر العلم الشرعي؛ بحيث تكون مرتبة، سهلة الوصول، جذابة، تعلب الأشياء لجميع الأذواق، ودخول عالم التسويق في قضية تعليب المنتجات العلمية الشرعية وتغليفها وتقطيعها وفهرستها وعنونتها بما يناسب كبار، وفتيات، وصغار، ومراهقين وشباب، هذا شيءٌ لا بد منه. وكذلك الأشياء السهلة التي يفهمها الشاب العادي لا بدَّ أن تصنع على شكل سؤال جواب، معلومة، قاعدة، قصة، أبيات.. هذه تُنشر.

انشرْ هذه الأشياء، فلا بدَّ أن تكون هناك مواقع متكاملة تحت إشراف العلماء الكبار، وتعرض التدريس للطلاب على اختلاف تخصصاتهم وأشغالهم، فهذا عنده نوبات في الليل، في الصباح ماذا سيقدم له؟ وكذلك النوبات الليلة ونوبات

وسط النهار ووسط اليوم، وأشياء للحفظ، وأشياء للشرح، وأشياء للمراجعة، وأسئلة للاختبار، وتكون هناك مجموعات إذا كان نظام المجموعات الآن في الشبكة وغيرها؛ إذًا نستطيع أن نعمل نظام مجموعات في قضية طلب العلم والحث عليه.

بقيت قضية صحة التوجه، وصحة النية، والطالب الذي لا يجلس مع مَن ينافسه ويكون له قرين أو صاحب، لا يكون عنده تسابق، والتسابق هذا عنصر مهم في التحصيل، وقضية التسابق يمكن أن تُحصل بأخ في الله من بلد بعيدة؛ لأنك أنت تآخيت معه الكترونيًا في حضور مجلس الذكر الإلكتروني والمراجعة بعده، حتى لو لم تجد من المعاصرين؛ مع أنك تجد، فهذا موجود ولله الحمد.

ثم التقليل من الانشغالات المباحة؛ فضلًا عن حذف الانشغالات المحرمة تمامًا.

إذا كنتَ تجري وراء الكرة
وتجذبك الشاشة المبهرة

ويلهيك نادٍ وألفُ صديقِ
تباروا على النت في الثرثرة
فأخذك للعلم قل لي متى؟
وقلْ لي متى حصة الآخرة؟

اللهم فقهنا في الدين، وارزقنا اتباع سُنة سيد المرسلين، علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علَّمتنا، وزدنا علمًا يا رب العالمين، والحمد لله أولًا وآخرًا.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وأن يتوب علينا، إنه سميع قريب، وصلى الله على نبينا محمد.

وسط النهار [illegible]

[illegible]

مجموعات [illegible]

[illegible]

لا يجلس مع من يناقشه ويكون [illegible]

[illegible]

تأخرت معه الكثرة في حضور مجلس الذكر [illegible] والمراجعة بعده، حتى لو لم تجد من المعاصرين، مع أنك تجد، فهذا موجود ولله الحمد.

ثم التقليل من الانشغالات المباحة، فضلاً عن الانشغالات المحرمة تماماً.

[illegible]

فهرس